دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها

لمحة عن مدارس القدس ودور كتبها قديماً :

لا نعرف شيئاً كثيراً ذا خطر عن مدينة القدس ومعاهدها العلمية و دور كتبها قبل العصر الأيوبي ، وكل ما يقال عن هذه العاصمة الاسلامية الكبيرة قبل هذا العصر هو من باب الحدس والتخمين ، ولعلنا سنطلع على شيء له خطره ، من تاريخ مدينة القدس العلمي في تلك الفترة بعد أن ينشر الأستاذ المربي الفاضل السيد احمد سامح الخالدي بحثه عن مدارس القدس ومعاهدها فاننا في أشد التشوق الى هذا البحث القيم الذي ننتظره لتتم الحلقات المفقودة من سلسلة تاريخ المعاهد الاسلامية في ديار الشام .

كان دخول صلاح الدين الى القدس عام ٥٨٣ هـ (١١٨٤ م) حادثاً خطيراً من الوجهتين السياسة والعلمية ولا نريد ان نعرض الى الناحية السياسية في هذه اللمحة وانما نريد ان نلم بالناحية العلمية بعض الإلمام .

كان من اول اعمال صلاح الدين بعد الفتح الأعظم ان اسس المدارس والمعاهد وزاد في كتب المسجد الأقصى وبخاصة الربعات ونسخ القرآن .

وصلاح الدين هو الذي أمر بجعل دار الاسبتار المعروفة باسم [La maison des Hospitaliers] مدرسة كبرى يعلم فيها الفقه الشافعي وعلوم العربية كما يحدثنا بذلك ابوشامة في الروضتين (1) . ويحدثنا مجير الدين ابو اليمن العليمي (— ٩٢٧) في كتابه الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ان السلطان صلاح الدين امر بهدم البناء الذي احدثه الصليبيون في الصخرة « واعادها كما كانت ورتب لها إماماً حسن القراءة ووقف عليها داراً وأرضاً وحمل اليها والى محراب المسجد الأقصى مصاحف وختمات وربعات شريفة (2) » . ويحدثنا المجير أيضاً ان صلاح الدين حول كنيسة حنه ام مريم عليها السلام الى مدرسة سماها المدرسة الصلاحية وان وقفها كان ثالث عشر رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وان وظيفة مشيخة هذه المدرسة من الوظائف

(1) انظر الروضتين في طبعة Historiens des Croisades ٢٠٧/١

(2) الانس الجليل ٣٠٤/١

السنية في مملكة الاسلام[١] » ويحدثنا المجير أيضاً ان صلاح الدين هو الذي بنى المدرسة الختنية بجوار المسجد الأقصى خلف المنبر بناها للشيخ العابد جلال الدين محمد بن احمد بن محمد الشاشي المجاور في القدس ثم من بعده على من يحذو حذوه وان وقفها كان ثامن عشر ربيع الأول سنة سبع وثمانين وخمسمائة[٢] . ومن الطبيعي ان صلاح الدين كان يزود هذه المعاهد بالخزائن ليتم النفع بها .

وقد سار الأيوبيون من بعده سيرته فأسسوا المدارس واكثروا من ذلك والعليمي يحدثنا عن هذه المدارس وخزائنها حديثاً مفصلاً[٣] .

وان مما هو جدير بالملاحظة ان الأيوبيين وعمالهم كانوا ينتقون لمدارسهم انفس المخطوطات واصحها فقد جدد الملك المعظم عيسى المدرسة الغزالية وجعلها زاوية لاقراء القرآن والاشتغال بالنحو ووقف عليها كتباً من جملتها اصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن اسحق بن السكيت . ويحدثنا العليمي انه وقف على كراسة من هذا الكتاب وهو بخط الامام النحوي الكبير ابن الخشاب وعلى ظهر الكراسة الوقف وهو مؤرخ في التاسع من ذي الحجة سنة عشر وستمائة .

اما في عصر المماليك فقد ازدادت دور العلم زيادة كثيرة حتى اصبح عددها يربو على الثمانين مدرسة وكان في اكثرها خزائن كتب كما حقق ذلك العالم الأستاذ حنا اسطفان[٤] .

دور كتب القدس اليوم :

في القدس اليوم كثير من دور الكتب الخاصة والعامة يقرب عددها من العشرة ولكن اشهر هذه الخزائن وأعظمها واكثرها مخطوطات الداران الكبريان : دار كتب المسجد الأقصى . ودار كتب آل الخالدي . وسنتحدث بإيجاز عن هذه الدور ثم ننتقل الى وصف بعض المخطوطات النفيسة في المسجد الأقصى و الخالدية .

---

(١) الانس ٢/٣٩٠ (٢) الانس ٢/٣٨٦ (٣) انظر الانس من ٢/٣٨٥ الى ٢/٤٠١

(٤) نحن مدينون ببعض المعلومات في مقالنا هذا للأستاذ حنا اسطفان الذي تفضل وأرسل الينا كلمة موجزة عن مكاتب القدس

دار الكتب الخالدية :

هي أعظم دور كتب القدس . تقع في خط باب السلسلة عن يمين القاصد الى الحرم الشريف . وهي المدرسة المعروفة باسم بركة خان التي آل ملكها الى آل الخالدي منذ عدة قرون خلت ولما انتقلت الى ملك السيدة الجليلة خديجة خانم الخالدي ابنة القاضي موسى افندي الخالدي قاضي عسكر بر الأناضول اوصت ولدها الحاج راغب افندي رئيس المحكمة الشرعية بيافا ان يجعلها وقفاً ويضع فيها كتب الأسرة الخالدية فنفذ راغب افندي وصية والدته في سنة ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م) وأعانه على ذلك شيخ الشام المرحوم الشيخ طاهر افندي الجزائري فرتبا كتبها بمعونة الشيخ ابي الخير محمد بن محمود الحبال الدمشقي وطبعا لها فهرستاً يشتمل على اسماء الكتب وقد ذكر في مقدمة هذا الفهرست ما نصه : « وفق الله تعالى جناب الفاضل ... راغب افندي الخالدي الديري المقدسي بمساعدة بعض وجهاء عائلته الكريمة وهما صاحبا الفضيلة ياسين افندي الخالدي وموسى شفيق افندي الخالدي الى تشييد غرفة رحبة على جادة باب السلسلة في القدس الشريف وضعوا فيها كمية وافرة مما وجد عندهم من بقية كتب آبائهم واجدادهم رحمهم الله واضافوا اليها بعضاً من الكتب الموجودة عندهم أيضاً وجعلوا الغرفة المذكورة دار علوم عمومية لمن يرغب المطالعة من أي فرد كان وشرطوا ان لا يخرج منها كتاب حرصاً على المنفعة العامة وهي مفتوحة الأبواب لجميع الطلاب كل يوم من الصباح الى المساء وعينوا لها محافظاً أميناً [1] » . وتحتوي هذه الدار على نحو عشرة آلاف مصنف فيها نحو خمسة آلاف مخطوطة في كل نوع من الانواع العلمية العربية والاسلامية .

وقد أضيف الى كتب الدار القديمة التي أسسها راغب افندي كتب خزائن أخرى لبني الخالدي هم يوسف ضياء باشا ، وروحي بك ، واحمد بدوي بك ، ونظيف بك ، والأمل معقود ان تضاف اليها الخزائن النفيسة التي كان يقتنيها المرحوم العلامة

(١) برنامج المكتبة الخالدية العمومية المطبوع بالقدس سنة ١٣١٨ و سنة ١٩٠٠

الشيخ خليل افندي [— ١٩٤١] فان الكتب التي جمعها هي من أنفس المخطوطات العربية ونرجو ان يكون هذا اليوم قريباً .

وللدار اليوم قيم يحفظها احسن حفظ هو فضيلة الشيخ امين الانصاري الذي انفق عمره على رعايتها واستهداء الناس ما عندهم من نفائس المخطوطات حفظه الله .

ولها فهرس مطبوع وهو الذي طبع ابان تأسيسها وهو يحتوي على كتب راغب افندي وياسين افندي وموسى افندي . أما بقية كتب الدار فلها فهرس مخطوط نرجو ان يطبع أيضاً حتى يتم النفع بهذه الدار العظيمة . وسننشر في آخر مقالنا هذا اسماء طائفة من كتب هذه الخزائن لنفاستها وتعريف العلماء بها .

دار كتب المسجد الأقصى :

في جامع المغاربة بالمسجد الأقصى الشريف خزائن لطيفة هي ضمن المتحف الاسلامي الذي أسسه مجلس الأوقاف الإسلامي .

وهي خزائن قيمة بما تحتوي عليه من المصاحف والربعات النفيسة وفي هذه الخزائن نحو عشرة آلاف كتاب أكثرها مطبوع ، وفيها نحو الف مخطوطة نصفها أجزاء من القرآن الكريم ، وهي مفتوحة الأبواب للمطالعين يشرف عليها وعلى المتحف فضيلة الأستاذ الحاج يعقوب افندي البخاري شيخ الزاوية النقشبندية . ولهذه الدار فهرست مخطوطة ، سنذكر في آخر مقالنا بعض محتوياته تعريفاً به أيضاً .

دار الكتب الخليلية :

وقفها المرحوم الشيخ محمد بن محمد الخليلي مفتي الشافعية المتوفى ١١٤٧ [١] . ويذكر الأستاذ اسطفان ان الشيخ الخليلي هو أول من حفز فكرة ايجاد دار عامة في القدس كما تنص على ذلك وقفية كتبه وقد حفظت كتبه في تربه بالمدرسة البلدية [٢] بخط باب السلسلة . ولكن ذهب كثير من مخطوطات هذه الدار كما ذكر الأستاذ اسطفان . ولم استطع زيارتها ولا معرفة ما فيها من الكتب ، ولا أدري هل لها فهرست أم لا .

(١) انظر ترجمته في سلك الدرر للمرادي ٤/ ٩٦ ـ ٩٧ (٢) هي المدرسة التي وقفها الأمير منكلي بغا الأحمدي نائب حلب [ـ ٧٨٢] وفيها قبره انظر الأنس الجليل ٢ /٣٦٨ .

دار الكتب الفخرية :

هي قسم من الخانقاه الفخرية المجاورة لجامع المغاربة التي وقفها المقر العالي القاضي فخر الدين ابو عبد الله محمد بن فضل الله ناظر الجيوش الاسلامية المتوفى (– ٧٣٢ [١]) . والزاوية اليوم ملك لآل ابي السعود الأسرة العربية التي تقطن القدس منذ نيف وسبعة قرون . وقد حدثني الأستاذ اسطفان ان عدد كتب هذه الدار كان نحواً عشرة آلاف مجلد ولكن الأسرة اقتسمت هذه الكتب بين افرادها فتفرقت كتبها .

خزانة آل قطينة الحنبليـة :

آل قطينة أسرة حنبلية معروفة وقد حدثني الأستاذ احمد سامح الخالدي انهم الحنابلة الوحيدون في القدس وان نسبهم يرجع الى مجير الدين العليمي الحنبلي صاحب تاريخ القدس والخليل . وخزانة هؤلاء بباب العامود وقد كان فيها مخطوطات نفيسة في الرياضيات والفلك والتنجيم ولم يبق منها اليوم شيء .

خزانة آل البديري :

آل البديري أسرة عريقة من أعرق أسر القدس أيضاً وقد كانت عندهم خزائن كبيرة غنية بمخطوطاتها ولكنهم اقتسموها فتشتت شملها واكبر قسم من مخطوطات هذه الخزائن عند الشيخ محمد افندي البديري الذي جعلها في جناح من أجنحة المسجد الأقصى . ولم استطع زيارة هذه المكتبة على شدة سعيي وارجو ان تتيح لي الظروف معرفة ما بها من مخطوطات .

خزانة الأستاذ مخلص :

هي خزانة العلامة السيد عبد الله بك مخلص عضو المجمع العلمي العربي بدمشق وهي خزانة ممتازة بما تحويه من آثارها التاريخية وقد نشر الأستاذ الفاضل صاحبها بعض مقالات عن نفائس مخطوطاتها ولعله يتحف قراء هذه المجلة ببحث مفصل عما تحويه خزانته العامرة من درر المخطوطات .

(١) انظر الأنس الجليل ٢/٣٨٦

خزانة الشيخ محمود اللحام :

هي خزانة غنية في ضاحية سلوان يربو عدد كتبها على اربعة آلاف مصنف ولم استطع زيارتها ولا معرفة ما فيهـا من نفائس ولعل صاحبها يكتب لطلاب العلم عن بعض ما تحويه من مخطوطات قيمة .

ومن خزائن الأسر الخاصة خزانة بني : ابي اللطف ، والترجمان ، والحسيني ، والداودي ، والموقت وخزانة أستاذنا العلامة محمد اسعاف بك النشاشيبي . وفي كل دار من هذه بعض المخطوطات التي لا شك في ان بعضها قيم فلعل بعض رجال الفضل في القدس يتفضل بوصف هذه الدور ويتحف العلماء ببعض البحوث عن محتوياتها وله بذلك اجل الشكر .

رموز مراجع المقالة

كش : كشف الظنون لحاج خليفة طبعة الآستانة سنة ١٣١٠

بروكلمان : تاريخ الآداب العربية Brockelmann Geschichte des Arabischen Litteratur Wimar 1898

الذيل : ذيل تاريخ الآداب العربية لبروكلمان Supplementband

دي سلان : De Slane Catalague des Ms Arabes de la Bibliothe - que Nationale . Paris 1895 .

الضوء : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي طبع القاهرة سنة ١٣٥٤

الأعلام : كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي طبع القاهرة ١٣٤٧ — ١٩٢٨

كتبخانه : فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخـانه الخديوية (الطبعة الثانية) سنة ١٣١٠

سجل : سجل كتب المكتبة العمومية بدمشق المطبوع سنة ١٢٩٩

خزائن : خزائن الكتب في دمشق وضواحيها لحبيب الزيات القاهرة ١٩٠٢

برنامج : برنامج المكتبة الخالدية العمومية المطبوع بالقدس ١٣١٨ — ١٩٠٠

سركيس : معجم المطبوعات العربية ليوسف سركيس مصر ١٩٢٨

نفائس مخطوطات دار كتب المسجد الاقصى

١ [١][1] القرآن العظيم :

وصفه : النصف الثاني من القرآن الكريم مكتوب على ورق صقيل بالخط الثلثي الجميل ، يرجع عهده الى أيام المماليك ؛ هوامشه مذهبة واسماء السور مكتوبة بحبر أبيض براق على ارض ذات زخارف جد بديعة فنية بنقوشها الهندسية وألوانها الذهبية الزاهية الحمراء والزرقاء ، وكل الفاظ الجلالة مكتوبة بالذهب .

٢ [٣] ربعة شريفة :

ثلاثون جزءاً مكتوبة[2] على رق غزال بقلم مغربي رائع في جماله وهوامش الأجزاء منقوشة بنقوش جميلة ، كما ان اسماء السور وفواصل الآي قد عني بزخرفتها عناية فائقة . ولكل جزء من الأجزاء الباقية جلد مزركش بالفضة والذهب وفي آخر كل جزء مكتوب بخط مذهب حسن ما نصه « كتبها واقفها على المسجد الأقصى المبارك عبد الله علي امير المسلمين بن امير المسلمين ابي سعيد عثمان بن أمير المسلمين ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق ملك المغرب سنة خمس واربعين وسبعمائة للهجرة » ولهذه الربعة صندوق من جلد دقيق النقش والصنعة محلى بزخارف فضية وذهبية ثمينة .

٣ [٤] ربعة شريفة :

ثلاثون جزءاً بخط ثلثي حسن ، جيد النقش والزخرفة ، وخصوصاً صدور السور وفواصل الآيات الكريمة ، وكل اسماء الجلالة منقوشة بماء الذهب . ولهذه الربعة صندوق خشبي ذو نقوش رائعة كتب عليه بعض آي الذكر الحكيم والأحاديث النبوية .

---

(١) الرقم الموضوع بين [ ] معقفتين هو رقم فهرست المكتبة

(٢) فقد من هذه الربعة منذ خمس سنوات تسعة أجزاء

٤ [٥] القرآن العظيم :

النصف الأخير منه مكتوب على رق غزال بقاعدة كوفية حسنة كتب عليه بخط أحدث من خطه ما نصه : « كتبه محمد بن الحسين بن بنت رسول الله ﷺ » وعلى هذا المصحف قراءة تاريخها عام ٩٤٥ هـ .

٥ [٦٨ — ٦٩] الجزآن الثاني والتاسع عشر من القرآن العظيم :

بخط نسخي جيد وقفها المرحوم لالا مصطفى باشا على المسجد الأقصى .

٦ [٨٣] ربعة شريفة :

حسنة الخط بقاعدة ثلثية جميلة كتبت سنه ٩٨٣ للهجرة وقفها الوزير العثماني قباد باشا ، ينقصها ثلاثة أجزاء : الثالث والعاشر والثلاثون .

٧ [٨٧ — ٨٩] ربعة شريفة :

جميلة الخط ، مذهبة بقاعدة عثمانية وقفها السلطان العثماني سليمان خان سنة ٩٩٨ هـ وهي مؤلفة من ثلاث ربعات مختلفات .

٨ [١٤٩] القرآن العظيم :

الجزء التاسع منه مكتوب برواية ابي عمرو بن العلاء مؤرخ عام ٩١٨ هـ وقفه محمد بن الحافي .

٩ [٢٤٠] القرآن العظيم :

الجزء الثامن منه مكتوب بقاعدة ثلثية عثمانية مذهب في أوله لوحة حسنة التذهيب وهو من ربعة وقفها السلطان مراد العثماني على قبة الصخرة الشريفة .

يتبع : الدكتور أسعد طلس